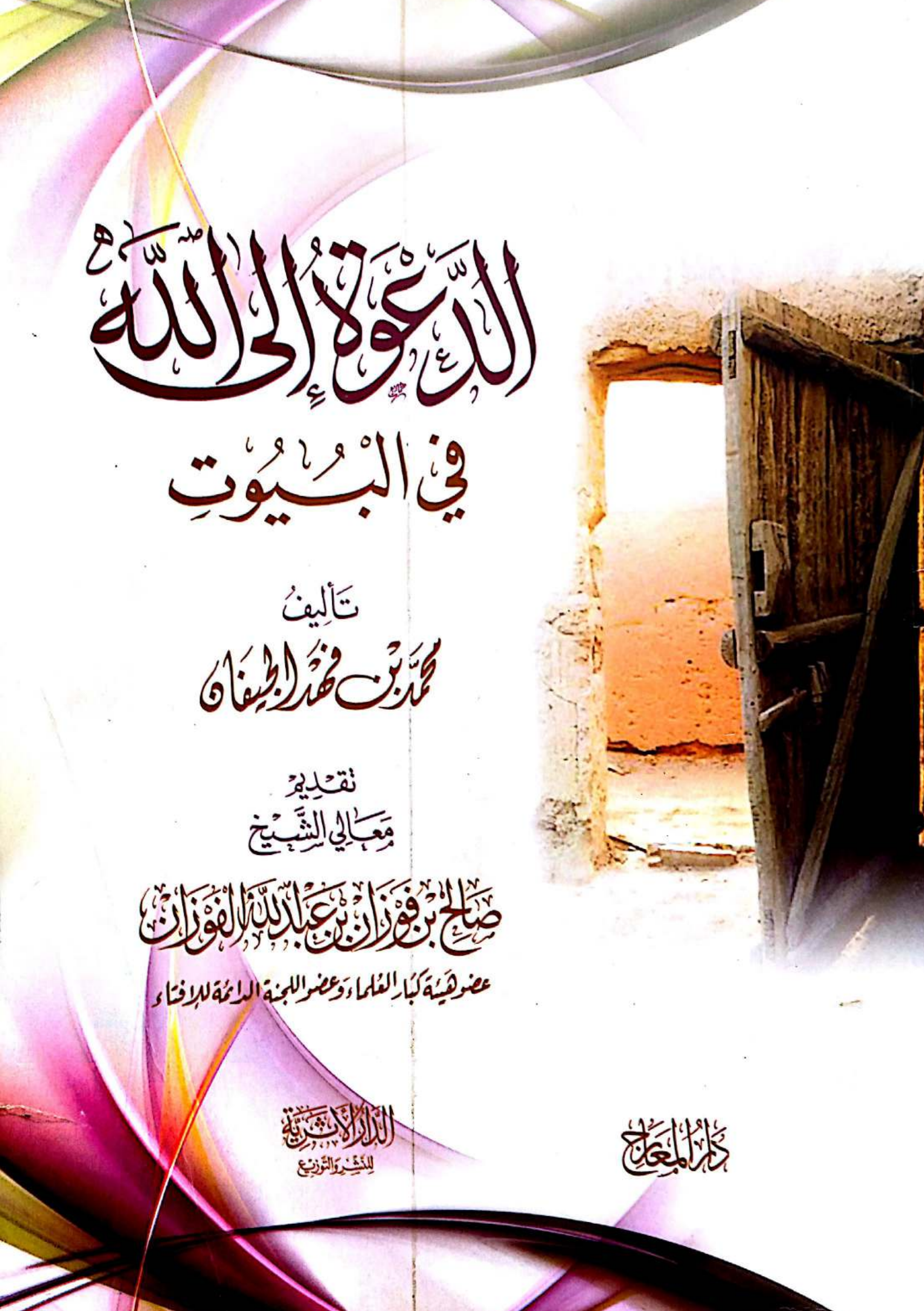


الدعوة إلى الله في البيوت

تأليف

محمد بن فهد الجيفان

تقديم

معالي الشيخ

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

الدار الأثرية للنشر والتوزيع

دار المعراج

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد:

قرأت هذه الرسالة التي هي بعنوان: «**الدعوة إلى الله في البيوت**»، من إعداد الأخ الفاضل: محمد بن فهد بن عبد الله الجيفان، فوجدتها رسالة قيمة في موضوعها جديرة بالنشر والتداول، لعل اللهَ أن ينفع بها ويثيب كاتبها، فأنا أوصي بقراءتها، وتأملها، والعمل بما جاء فيها من الحق.

والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله، ومن تبعه بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

إن موضوع البيوت، والدعوة فيها، والسعي لإصلاحها من الموضوعات المهمة؛ لأن البيت يُمثِّل المحضن الأول للتربية، وهو لَبِنة من لَبِنات بناء المجتمع، ومن أجل هذا فإني أقدِّم هذا الموضوع لإخواني من الشباب الملتزم والفتيات الملتزمات، فالخطاب للرجل والمرأة سواء إلا ما جاء الدليل بتخصيصه(١)، وهو محاولة لوضع بعض الإشارات والنصائح لعلهم أن يجدوا فيها ما ينفعهم في دعوتهم، ويحرك هممهم.

أسأل الله ﷻ التوفيق، والسداد، والعون، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، ولا يسعني إلا الشكر الجزيل، والدعاء لكل من ساهم في إخراج هذه الورقات، فأسأل اللهَ العظيم أن يثيبهم ويثقل موازينهم إنه علىٰ كل شيء قدير.

وما كان في هذه الرسالة من صواب فمن الله سبحانه وتعالى، وما كان فيها من خطأ

---

(١) وقد أفردت رسالة للأخوات الملتزمات بعنوان: «خاص وللملتزمات فقط».

وزلل فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

محمد الجيفان

ص.ب ٩٢٣٠٦

الرياض ١١٦٥٣

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وكفىٰ، وصلاة وسلامًا علىٰ عباده الذين اصطفىٰ، وعلىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

أحمد الله ﷻ وأثني عليه الخير كله، أشكره ولا أكفره، وأجحد وأخلع من يكفره، وأشكره أولًا وآخرًا علىٰ ما مَنَّ به من القبول لهذا الكتيب بين الشباب، وأسأله ألَّا يحرم كاتبه وقارئه الأجر والمثوبة، وأشكر بعد ذلك إخواني الذين تواصلوا معي بالتوجيه والتسديد والنصح والإرشاد، فلهم مني خالص الدعاء ألَّا يحرمهم الأجر والمثوبة.

تأتي هذه الطبعة وقد زدت فيها بعض الفوائد والمباحث واستكملت ما فاتني من تخريج الأحاديث، وشرح لبعض الأحاديث، وبعض الفتاوىٰ من كبار علمائنا عن بعض المسائل التي أضفتها، وحرصت علىٰ التنقيح والتصحيح وهذا جهد البشر، ومع ذلك فلا أستغني عن ملاحظات إخواني وتوجيهاتهم وتصويباتهم.

وفَّق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

محمد الجيفان

الرياض

تمهيد

إن من النعم العظيمة التي مَنَّ اللهُ تعالى بها علىٰ عباده، نعمة الهداية لهذا الدين والوصول للطريق المستقيم الموصل بإذنه إلىٰ دار الكرامة والنعيم، ومما يبين عِظَم هذه الهداية وأنها توفيق من الله عز وجل، ما يحكيه الله تعالى عن المؤمنين في الجنة وهم يعترفون بهذه النعمة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣].

وقد أورد الإمام ابن كثير(١) -رحمه الله تعالىٰ- عند تفسير هذه الآية حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«كل أهل الجنة يرىٰ مقعده من النار فيقول: لو لا أنَّ الله هداني؛ فيكون له شكرًا»**. اهـ

فهذه الهداية شأنها عظيم لا يعرف قيمتها إلا من عايشها وعرف ضدها، ورأىٰ أولئك الذين تنكبوا الصراط ولم يوفقوا لهذا الأمر الرشيد، ولذلك يتحسرون يوم القيامة، فيقول كل واحد منهم كما أخبر الله عنهم: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر:٥٧].

---

(١) «تفسير ابن كثير» لأبي الفداء إسماعيل بن كثير(١٨٨)، وقال ابن كثير عن الحديث: رواه النسائي، وابن مردويه واللفظ له.

وحسنه الألباني «صحيح الجامع» (٤٥١٤).

ويقولون: ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٢٧].

فإذا عرف أهمية الهداية، وأنها الطريق الذي لابد من سلوكه حتىٰ يفوز العبد وينجو ليصل إلىٰ دار النعيم آمنًا من كل ما يخيف؛ إذا عرف هذا ونظر إلىٰ حال من ابتعد عن منهج الله ﷻ، وشطت به السُّبُل؛ عَلِمَ أن هذه النعمة كغيرها من نعم الله ﷻ تحتاج إلىٰ الشكر القولي والعملي، ومِن شُكرها المحافظة عليها، ونشرها بين عباد الله، بل والحرص علىٰ ذلك متمثلًا حرص الأنبياء[1] -عليهم الصلاة والسلام-، والسلف الصالح -رضوان الله عليهم- ومن سار علىٰ نهجهم، متخذًا قول الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ:٥٢].

متخذًا هذه الآية منارًا له في طريقه، ولا منافاة بين هذه الآية، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦].

فالهداية المرادة في الآية الأولىٰ[2] هي هداية الدلالة، والإرشاد، والبيان، وأما في الآية الثانية فالمقصود بها هداية التوفيق، والتي هي من أعظم نِعَم الله ﷻ علىٰ عباده، والتي هي من خصوصيات المولىٰ ﷻ.

إن هداية الدلالة، والإرشاد، والبيان هي مهمة الرسل، وأتباعهم، ومن سار علىٰ نهجهم، فعلىٰ الدعاة أن يقوموا بها حق القيام.

وإننا نرىٰ عجبًا من شدة حرص المصطفىٰ ﷺ علىٰ هداية قومه، حتىٰ أن الله عاتبه في ذلك لما كان من شدة حرصه علىٰ هداية قومه، فقال له ربه ﷻ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦].

---

(١) انظر للاستزادة في هذا الموضوع «الحرص علىٰ هداية الناس»، فضل إلهي ظهير.

(٢) «تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد» سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ص٢٩٩)، طبع مكتب التراث الإسلامي.

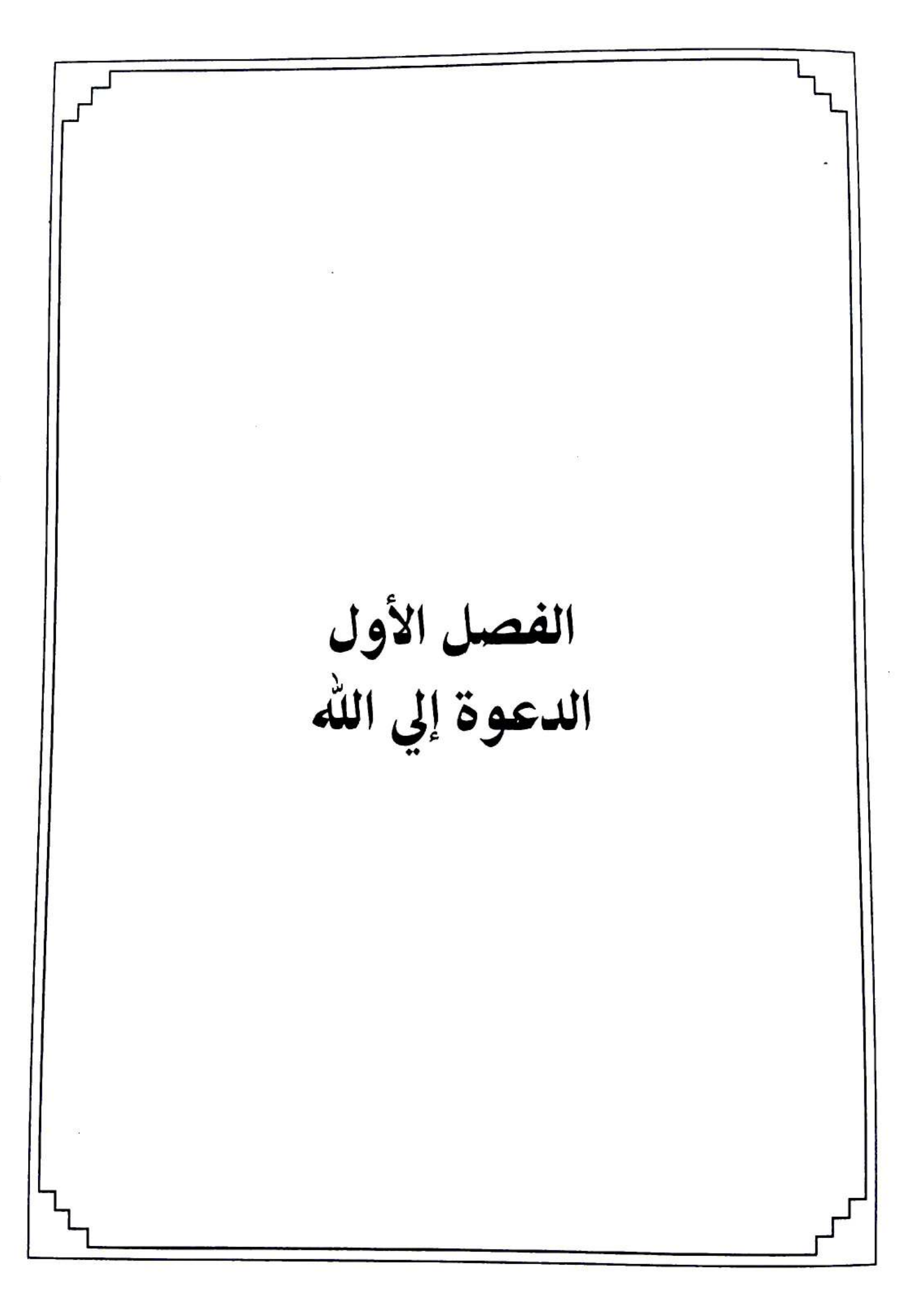
وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩].

وغير ذلك من الآيات التي تدل علىٰ شدة حرصه علىٰ هداية قومه، ونبينا ﷺ كما وصفه ربنا ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

وكذلك ما وصف به نفسه في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم -رحمه الله تعالىٰ- من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثلي ومثلكم، كمثل رجل أوقد نارًا، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يَذُبُّهنَّ عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي**»[1].

* * *

(١) مسلم، كتاب الفضائل، باب: شفقة النبي ﷺ علىٰ أمته.



الفصل الأول
الدعوة إلي الله

تمهيد:
تعريف الدعوة لغة واصطلاحًا

الدعوة لغة[١]: لها معانٍ متعددة وكلها تدور حول الطلب، والنداء، والمشاركة في شيء أو التجمع عليه.

إذن؛ فكلمة (دعوة) تفيد لغويًّا: المحاولات القولية، والعملية، والفعلية من أجل تحقيق هدف أو عمل.

الدعوة اصطلاحًا[٢]: هي الدعوة إلىٰ دين الإسلام بالانتساب إليه، والحث عليه، والنداء به، والجهر بمبادئه، والسؤال الدءوب عنه، وجمع الناس كافة للالتفاف حوله، والسير علىٰ طريقه القويم، وهديه المستقيم.

وبالجملة؛ فإن الدعوة هي: الحث علىٰ فعل الخير، واجتناب الشر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة، والتنفير عن الرذيلة، واتِّباع الحق، ونبذ الباطل.

* * *

---

(١) يراجع «القاموس المحيط» للفيروزآبادي، و«مختار الصحاح» للرازي في مادة (دعىٰ) باب (د.ع.ا).

(٢) «مرشد الدعاة» محمد نمر الخطيب (٢٣).

المبحث الأول: عظم أجر الداعية إلى الله وعلو منزلته عند الله

١ - إن الداعي إلىٰ الله -تعالىٰ- من أحسن الناس قولًا، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]. فلا أحسن قولًا من الداعي إلىٰ الله الذي هذه صفاته[١].

٢- دعاء النبي الكريم ﷺ لمبلغ كلامه إلىٰ غيره.

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ بالخيف من منىٰ، فقال: «**نضَّر اللهُ امرأً سمع مقالتي فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه**»[٢].

ومعنىٰ قوله: «**نضَّر**»[٣]: الدعاء له بالنضارة، وهي: النعمة والبهجة والحسن، فيكون تقديره: جمَّله اللهُ وزيَّنه. اهـ

٣- الثواب الجزيل لمن اهتدىٰ علىٰ يده إنسان.

فقد أخرج الإمام البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال

---

(١) «الحرص علىٰ هداية الناس» فضل إلهي ظهير.

(٢) أورده الإمام السيوطي في الأحاديث المتواترة، في كتاب «قطف الأزهار المتناثرة» (٢/ ٢٨).

(٣) «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني (ج١/ ٤٠).

لعلي ﵁، لما أعطاه الراية يوم خيبر: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمر النعم**»[١].

وحمر النعم: من ألوان الإبل المحمودة، قيل المراد: خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها، وقيل: تقتنيها وتملكها وكانت مما تتفاخر العرب بها. اهـ

٤- للداعي مثل أجور من يتبعه.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ دَلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله**»[٢].

أخرج مسلم كذلك من حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن دعا إلى هدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»[٣].

يقول الإمام النووي -رحمه الله تعالى- عند قوله ﵇ «**هدى**»: «وأن من دعا إلى هدًى كان له مثل أجور متابعيه... سواء كان ذلك الهدى... هو الذي ابتدأه، أم كان مسبوقًا إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم، أو عبادة أو أدب، أو غير ذلك». اهـ

٥- صلاة الله تعالى ومن في السموات والأرض على معلِّم الناس الخير.

فقد أخرج الترمذي[٤] من حديث أبي أُمامة الباهلي، قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) «الفتح» (٤٢١٠)، كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر (ج٧).

(٢) مسلم مع النووي، كتاب الإمارة، باب: فضل الصدقة في سبيل الله.

(٣) مسلم مع النووي، كتاب العلم، باب: من سن سنة حسنة (ج١٦/ ٤٤٤).

(٤) وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (ص٣٧).

«إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتىٰ النملة في جحرها وحتىٰ الحوت، ليصلون علىٰ معلِّم الناس الخير».

قال الإمام ابن القيم[١]: «لأنه لما كان تعليمه للناس الخير سببًا لنجاتهم وسعادتهم وزكاة نفوسهم جازاه الله من جنس عمله بأن جعل عليه من صلاته وصلاة ملائكته وأهل الأرض ما يكون سببًا لنجاته وسعادته وفلاحه أيضًا...». اهـ

❊ ❊ ❊

(١) «مفتاح دار السعادة» (ج١) (ص٦٢).

المبحث الثاني
حول قول الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

يقول الإمام الشوكاني عند تفسير هذه الآية[١]: «خص الأقربين لأن الاهتمام بشأنهم أولىٰ، وهدايتهم إلىٰ الحق أقدم... وقد ثبت في الصحيح أن هذه الآية لما نزلت دعا النبي ﷺ قريشًا فاجتمعوا، فعم وخص، فذلك منه ﷺ بيان للعشيرة الأقربين». اهـ

وقد أخرج الإمامان البخاري ومسلم[٢] في صحيحيهما: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾. دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا، فعم وخص، فقال: «**يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار**...». الحديث.

ودعوة الأقربين هي الرتبة الثانية من مراحل دعوة النبي ﷺ بعد النبوة كما ذكر ذلك ابن القيم[٣] فقال: «فصل في ترتيب الدعوة ولها مراتب، المرتبة الأولىٰ: النبوة، الثانية: إنذار عشيرته الأقربين...». اهـ

---

(١) «فتح القدير» محمد بن علي الشوكاني (ج٤/ ١١٧).

(٢) البخاري من حديث عائشة، كتاب الوصايا، باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب. مسلم، كتاب الإيمان، باب: في قوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾.

(٣) «زاد المعاد في هدي خير العباد» ابن القيم (١/ ٨٦).

من هذا كله يتبين لنا عظم المسئولية الملقاة علىٰ عاتق الداعية إلىٰ الله تجاه أهله، فنجد من كلام الإمام ابن القيم أنه بيَّن أن إنذار العشيرة حصل بعد النبوة؛ أي: بعد أن أعدَّ الله نبيه للنبوة، وما كان من الإرهاصات قبلها، ثم جاءت المرحلة التالية بعد إعداد الذات، وهي مرحلة دعوة الأقربين مما يدل علىٰ أهميتها.

ومما يدل علىٰ هذه المرحلة من الدعوة أن الله أمر نبيه أن ينذر قومه خاصة مع أن الله أمره أمرًا عامًّا في قوله: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر:٩٤].

ولا شك أن الأمر بالصدع جاء عامًّا، فيدخل فيه الجميع، ولكن لأهمية الأمر، ولبيان درجات المسئولية التي تتعلق بكل مسلم عمومًا وأصحاب الدعوة خصوصًا، فأدنىٰ درجة في المسئولية هي مسئولية الشخص عن نفسه، والدرجة التي تليها هي مسئولية المسلم عن أهله.

فحريٌّ بالداعية الموفق أن يقتدي ويقتفي سُنة نبيه محمد ﷺ فيبدأ بنفسه فيربيها علىٰ منهج الله، وعلىٰ الطاعة، ويجاهد نفسه في مرضاة الله، ويتسلح بكل ما يعينه علىٰ أداء هذه المسئولية، ويتوجه إلىٰ أهله يدعوهم إلىٰ الله، فلا يكتفي بأن يكون صالحًا في نفسه فقط، بل يكون مصلحًا لغيره، وهم أسرته وأهله، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود:١١٧].

* * *

المبحث الثالث: قواعد ينبغي أن تكون معلومة لدى الداعية إلى الله

تمهيد:

الداعية إلىٰ الله وهو يسير في طريق الدعوة لابد له من قواعد تضبط مساره، وتحدد طريقه لتوفر له الجهد والوقت، وكي لا يتعثَّر في طريقه، ولتكون هذه القواعد سبيلًا لتوفير الجهد، وتخفف من الضغط النفسي الذي يلقاه الداعية، والإحباط الذي قد يصيبه.

القاعدة الأولىٰ: «أن الأجر يقع بمجرد الدعوة ولا يتوقف علىٰ الاستجابة»(١).

وهذه القاعدة تعالج خطأً شائعًا عند كثير من الدعاة، وهو أن الأجر يترتب علىٰ النتيجة الدنيوية الظاهرة، ولو كان الأمر كذلك لكان كثير من أنبياء الله محكومًا عليهم بالإخفاق، وحاشىٰ لأنبياء الله الكرام أن يوصفوا بهذا رغم قلة المؤمنين بدعوتهم.

١- فنوح عليه السلام مكث ألف سنة إلا خمسين عامًا ومع ذلك كانت نتيجة الدعوة ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

---

(١) «قواعد الدعوة إلىٰ الله» همام عبد الرحيم سعيد (٢٨).

وهؤلاء القليل[١]، قيل: إنهم كانوا ثمانين نفسًا منهم نساؤه، وقيل: إنما كانوا نوحًا وبنيه الثلاثة وكنائنه الأربع.

٢- أخرج الترمذي من طريق ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما أُسري بالنبي ﷺ جعل يمر بالنبي والنبيين ومعهم القوم، والنبي والنبيين ومعهم الرهط، والنبي والنبيين وليس معهم أحدًا»[٢]. اهـ

٣- ولذا فقد وجه الله تعالىٰ رسوله محمدًا ﷺ إلىٰ هذا المعنىٰ عندما أمره بالدعوة والتبليغ، وأن هذه مهمته؛ فقال تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورىٰ:٤٨].

وقال -عز من قائل-: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل:٣٥].

ذلك أن أمر الهداية إلىٰ الله تعالىٰ وهو القائل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦].

فعلىٰ الداعية ألا يقع تحت وقع الضغوط النفسية بسبب عدم استجابة المدعوين، وعليه ألا يتعجل الثمرة، ولكن يبذل ما يستطيع والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء سبحانه وتعالى وهو الحكيم العليم.

القاعدة الثانية: «لابد من الابتلاء».

الابتلاء من سنن الله لتمحيص عباده المؤمنين، ولتكفير سيئاتهم، ولرفع درجاتهم، بل إنه علامة علىٰ محبة الله للعبد، فإن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه -كما ورد- ولذا فإن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل؛ لذلك قال الله تعالىٰ

---

(١) «تفسير ابن كثير» لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (٢/ ٣٨٤).

(٢) «صحيح سنن الترمذي» برقم (م/ ١٩٩١/ ج٢).

في كتابه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢].

فعلىٰ الداعية أن يضع هذا الأمر نصب عينيه، ويعلم أن الابتلاء لابد منه، وأنه دلالة علىٰ صدق الإيمان، وقدوة الداعية في ذلك أنبياء الله ﷻ الذين أوذوا، وسُخِر منهم، وكُذِّبوا، واتُّهموا بالجنون، والقرآن مليء بالآيات التي تتحدث عن هذا الجانب، كما قال تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤].

بل إن الأمر وصل إلىٰ الأذىٰ الجسدي حتىٰ بلغ الأمر إلىٰ القتل، كما حصل مع بعض أنبياء بني إسرائيل، وأيضًا محاولات قتل النبي ﷺ، وكذلك ما تعرض له الصحابة في مكة من كفَّار قريش[(١)].

ومن **الشواهد علىٰ ذلك**: حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: «شكونا إلىٰ رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ فقال: **قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له حفرة في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار، فيوضع علىٰ رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه**». أخرجه البخاري[(٢)].

القاعدة الثالثة: العلم.

العلم بما يأمر به الداعية، والعلم بما ينهىٰ عنه، فلابد أن يكون لدىٰ الداعية -وهو المتصدر لدعوة الناس- من العلم ما يبلغه للناس، وعليه أن يعلم حرمة

(١) «الرحيق المختوم» صفي الرحمن المباركفوري (١٠٥).

(٢) «فتح الباري» كتاب الإكراه (٦٩٤٣).

القول على الله بلا علم، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

وكذلك على الداعية أن يعلم خطورة الكذب على رسول الله ﷺ، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «**مَن كذبَ عليَّ متعَمِّدًا فليتبوأ مقعده من النَّارِ**». أخرجه البخاري[١].

على الداعية أن يسعى ويَجِدَّ في طلب العلم الشرعي المأخوذ من الكتاب والسنة، ثم أقوال سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، والعلماء من بعدهم إلى عصرنا ممن يسيرون على منهج السلف الصالح فيكون علم الداعية مؤصلًا، لكن يحذر التعالم على الناس وعليه بالاستمرار وعدم الانقطاع.

لكن لا يفهم الداعية أنه لا يدعو حتى يحوز العلم كله أو جله، بل ما علمه فإنه يبلغه «**بلغوا عني ولو آية**». أخرجه البخاري[٢].

والتبليغ نوعان[٣]: تبليغ النصوص، وهذا يطلب ممن حفظ شيئًا من النصوص أن يُحفظها لغيره، وتبليغ معنى النصوص وفقهها، وهذا من اختصاص العلماء.

القاعدة الرابعة: الموازنة بين المصالح والمفاسد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[٤]: «درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة،

---

(١) حديث متواتر، أورده الإمام السيوطي في كتابه «قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة» (١/ ٢٣)، «الفتح» (١١٠)، كتاب العلم.

(٢) البخاري مع فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٦١).

(٣) إضافة لفضيلة الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-.

(٤) «رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» شيخ الإسلام ابن تيمية (ص٣٣).

وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة، فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد، والحسنات والسيئات، أو تزاحمت، فإنه يجب ترجيح الراجح منها، فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت؛ فإن الأمر والنهي، وإن كان متضمنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورًا به، بل يكون محرمًا، إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة...». اهـ

القاعدة الخامسة: أن الأصل في الدعوة هو اللين.

ذلك أن القلوب تميل إلىٰ من يلين ويرفق بها، وتنفر الطبائع البشرية من الفظِّ الغليظ حتىٰ ولو كان خير خلق الله تعالىٰ كما قال تعالىٰ لمحمدﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

والمراد باللين في الدعوة[١] هو: لين الجانب، وحسن الخلق، وكثرة الاحتمال، وعدم الإسراع بالغضب والتعنيف إذا بدر من المدعو خطأ.

لكن ليس المقصود باللين أن يكون الداعية مداهنًا[٢]، حيث يلقىٰ الفاسق، فيتركه، ولا ينكر عليه ولو بقلبه، أو يرىٰ منكرًا، ويقدر علىٰ دفعه، فلا يدفعه حفظًا لجانب مرتكبه أو جانب غيره، أو لقلة مبالاة في الدين، أو ينافق ويرائي، أو يترك بعض ما هو عليه من أمر الدين مما لا يرضاه الناس مصانعة لهم؛ وذلك لأن المداهنة أمر محرَّم، وهي ما رغب مشركو مكة في وجودها من النبيﷺ، قال الله

(١) «من صفات الداعية: اللين والرفق» فضل إلهي ظهير (٨).

(٢) المرجع السابق.

تعالىٰ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:٩].

كذلك علىٰ الداعية أن يحرص علىٰ مداراة الناس[(١)]؛ أي: أن يرفق بالجاهل الذي يستتر بالمعاصي، ويلطف به حتىٰ يرده عما هو عليه.

القاعدة السادسة: ترك الاستعجال.

والمراد بالاستعجال: إرادة تغيير الواقع الذي يحياه الناس في وقت قصير جدًّا.

إن عامل الزمن مهم جدًّا، فإن ما فسد في عشرات السنين لا يصلح في عشرات الليالي والأيام، كما أن لله سُنة في التغيير، فلا يظن الداعية -وهو يرىٰ المسلمين وما هم فيه من التقصير- فيريد تغيير هذا الواقع في أقصر وقت، فيريد أن ينقل المدعو من المعصية إلىٰ الطاعة، ومن طريق الشر إلىٰ طريق الخير، ومن الإعراض عن ذكر الله إلىٰ الإقبال علىٰ الله ﷻ في لمح البصر.

إن من العلاج لهذه المشكلة -بعد معرفة سنة الله في التغيير- الصبر والتصبُّر والتروي، وبذل الأسباب، والنتائج أمرها إلىٰ الله ﷻ، ويشهد لوجود هذا الخلق وعلاجه موقف النبيﷺ من خباب في الموقف المتقدم- عندما جاءه وقد لاقوا ما لاقوا من العذاب والاضطهاد يريد من الرسول ﷺ أن يدعو لهم، فأجابه رسول اللهﷺ: «**والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتىٰ يسير الراكب من صنعاء إلىٰ حضرموت لا يخاف إلا الله**»[(٢)].

وهذا نبي الله نوح عليه السلام قد مكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا،

---

(١) المرجع السابق.

(٢) «صحيح البخاري مع فتح الباري» (٦٩٤٣).

فليسع الداعية ما وسع أنبياء الله ورسله، وليتحلَّ بالصبر، ولا يستعجل.

القاعدة السابعة: تحديد نقطة البداية وترتيب الأولويات[١].

فتحديد ذلك ينطلق من معرفتنا بالمعاصي والمنكرات التي يقع فيها المدعوون، وعلىٰ ضوئها يتبين لنا أنَّ ما ترك من الواجبات مهم ولكن بعضها أهم من الآخر، وأن ما اقترف من المعاصي منكر، ولكن بعضها أنكر من الآخر، فلا نبدأ بالأمر بالسنن مع أن المدعو تارك للواجبات والأركان، فالداعية في بيته لابد أن يحدد البدايات الّتي يبدأ بها وينطلق منها في دعوة أهله.

وانظر أيها الداعية إليه -عليه الصلاة والسلام- عندما بعث معاذًا إلىٰ اليمن وقد بيَّن له حال القوم الذين سيأتيهم، وما هي الأولويات التي ينطلق منها: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلىٰ أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك في ذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة** ...». أخرجه البخاري[٢].

قال الحافظ في «الفتح»: «وتمامه أن يقال بدأ بالأهم فالأهم، وذلك من التلطف في الخطاب لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرَّة لم يأمن النفرة» اهـ[٣].

* * *

---

(١) «فقه الدعوة في إنكار المنكر» عبد الحميد البلالي، بشيء من التصرف.

(٢) «فتح الباري» كتاب الزكاة (١٤٩٦) (ج٣).

(٣) المرجع السابق.

المبحث الرابع
من أهم أخلاق الداعية

أخلاق الداعي إلىٰ الله هي أخلاق الإسلام التي بيَّنها الله تعالىٰ في كتابه، وفصَّلها رسول الله ﷺ في سنته وسيرته، وقد امتدحه اللهُ بذلك فقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

وعندما سُئلت عائشة رضي الله عنها عن أخلاق النبي ﷺ قالت: «كان خُلقه القرآن»(١).

ولا يخفاك -أخي في الله- مكانة الأخلاق في الإسلام، فقد علل النبي ﷺ رسالته بتقويم مكارم الأخلاق فقال ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق**»(٢).

وكان ﷺ يدعو الله بقوله: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت**». مسلم(٣).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب، وأحمد، والحاكم، وابن سعد وغيرهم، وصححه الحاكم علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي من طريق ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا، وقال الألباني: هذا إسناد حسن. «الصحيحة» (٤٥).

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم عن علي بن أبي طالب، كتاب صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل (١٨٠٩).

أول هذه الأخلاق: الصدق.

جاء في كتاب الله تعالىٰ آيات كثيرة تتحدث عن الصدق وفضيلته وتأمر المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

وأنه ينفع العبد يوم القيامة وينجيه من سخط الله ويقوده إلىٰ جنات النعيم: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩].

إن الصدق في حياة الداعية أمر لابد منه لنجاح دعوته، وقبول الناس لها، صدق في الأقوال بأن ينطق اللسان بالحق والصواب ولا ينطق بالباطل، وهو تعبير عن شخصية واضحة ومروءة، فلا يلجأ للكذب إلا ضعيف الشخصية، كما أن الفطرة السليمة تستعيب الكذب وتستقبحه، وكان ذلك حتىٰ عند المشركين، فكيف بالداعية إلىٰ الله! فهذه الصفة منبع الثقة والاطمئنان في الداعية، لأنه مبلغ عن الله وعن رسوله ﷺ.

وقد يقبل العذر في تقصير الداعية في بعض الصفات المطلوبة في حقه ما عدا هذه الصفة؛ فإنه لا يعذر مطلقًا أمام الناس، كيف وكل مسلم يعلم أن الكذب والخيانة من علامات النفاق؟! فهل يليق أن توجد في داعية إلىٰ الله عز وجل ومبلغ عنه؟!

النوع الآخر من الصدق:

الصدق في الأعمال، بأن تكون أعمال الإنسان خالصة لوجه الله تعالىٰ من الرياء والسمعة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

والصدق كذلك في حمل الدين: بأن يكون تدين المرء تدينًا صحيحًا مبنيًّا علىٰ الصدق مع الله ﷻ لا علىٰ النفاق والكذب والمجاملة، فلابد من الإسلام الظاهر مع الإيمان الباطن.

اعلم -أخي في الله- أن الوسيلة الأولىٰ لنجاح دعوتك هي: صدقك في حمل دعوتك، وجديتك في ذلك، ويكون صدقك في أقوالك وأعمالك هو منهجك وشعارك.

ثانيًا: الصبر.

لا يَقِل خُلق الصبر أهمية عن الصدق؛ ذلك أن الصبر يحتاجه كل مسلم في جميع حياته، فالمسلم مطالب بأن يصبر علىٰ طاعة الله بالمحافظة عليها وعلىٰ ما يحبه الله ويرضاه، ومطالب بالصبر عن معصية الله بتركها وهجرها والبعد عن كل ما يسخط الله.

وكذلك هو مطالب بالصبر علىٰ البلاء والمصائب المؤلمة، والمؤمن إنما يصبر حبًّا لله وطلبًا لمرضاته، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ [النحل:١٢٧].

ويقول -عليه الصلاة والسلام-: «**ما أُعطي أحد من عطاء خيرًا وأوسع من الصبر**»(١).

فالداعية يحتاج -مع ما سبق من أنواع الصبر- إلىٰ الصبر في سبيل تبليغ هذا الدين ودعوة الناس إلىٰ الهدىٰ، فالناس أصحاب أمزجة شتىٰ، وعيوب شتىٰ، وطباع شتىٰ، وحاجات ومصالح شتىٰ، ومشاكلهم كثيرة وهمومهم كبيرة، فهم

---

(١) «صحيح البخاري مع الفتح» كتاب الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة (١٤٦٩).

يحتاجون إلىٰ من يتسع صدره لهم، ويتحمل تقصيرهم؛ لأنه يريد تربية نشء جديد، ونشر مفاهيم مغايرة لأخلاق الناس وعاداتهم وطبائعهم وأهوائهم وشهواتهم.

والداعية مع كل ذلك لا يريد جزاءً ولا شكورًا، ولا يريد أمرًا من أمور الدنيا، بل يريد الخير للناس، ومع ذلك يُقابَل بالتكذيب والاستهزاء والسخرية والتنقص والمعاداة من أصحاب الشهوات والشبهات!

لكن لا غرابة فهذا طريق سار عليه الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ومن سلك طريقهم، والله يأمر نبيهﷺ بالصبر والاقتداء بمن قبله.

ويقول تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام:٣٤].

ويقول تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج:٥]. فالبصبر -إن شاء الله- تنال الغايات، وتُذلل العقبات، وتُوهب الهداية، وتُمهد الطرق، وتسهل الصعوبات، ويعمق في نفس المؤمن الصابر روح الأمل والإقدام، ويبعد عن نفسه روح اليأس والتخاذل.

ثالثًا: الرحمة(١).

إن الداعي لابد أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة علىٰ الناس، وبإرادة الخير لهم والنصح لهم، ومن شفقته عليهم دعوتهم إلىٰ الله.

وقد كان من صفات المصطفىٰﷺ رحمته وشفقته علىٰ أمته، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

(١) «أصول الدعوة» عبد الكريم زيدان.

عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

فبالرحمة تهون علىٰ الداعي ما يلقاه من أصحاب الغفلة والجهالة.

فالداعي المسلم ما دام ينظر إلىٰ من يدعوهم نظرة الرحمة والشفقة عليهم؛ فإنه يعفو ويصفح عنهم في حق نفسه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وانظر إلىٰ حال الطبيب كيف يتحمل ما يلاقيه من المريض من سوء الخلق في سبيل علاجه مع عدم الحاجة له.

والداعي المحروم من الرحمة الغليظ القلب لا ينجح في عمله، ولا يُقبل الناس عليه، وإن كان ما يقول حقًّا وصدقًا، فطبيعة الناس ينفرون من الغليظ الخشن القاسي ولا يقبلون قوله.

فعلىٰ الداعية أن يتكلف الرحمة والرفق إن لم يكن كذلك حتىٰ يكتسبها ويألفها، ولا يكن منفرًا عن الإسلام بسوء أخلاقه وغلظة قلبه وخشونة طبعه وبذاءة كلامه.

رابعًا: التواضع.

إن من أهم وأبرز صفات الداعية الذي يريد التأثير في الناس وتجعله محبوبًا في قومه وبيئته ذا أثر فِيهم وقوامة عليهم؛ صفة التواضع وخفض الجناح.

فالكبر يشكل جدارًا وحاجزًا بين الداعية والناس، بل يجعل الداعية معزولًا عن مجتمعه غير مألوف ممن حوله.

فالداعي أحوج من غيره إلىٰ خُلُق التواضع، فهو يخالط الناس ويدعوهم إلىٰ الحق وأخلاق الإسلام؛ فكيف يكون خاليًا من هذا الخُلُق، الذي هو من ركائز أخلاق الإسلام؟! ثم من طبيعة الناس أنهم لا يقبلون قول من يستطيل

عليهم ويحتقرهم ويتصغرهم، ويتكبر عليهم، وليعلم الداعية أن التواضع شرف له وعلو منزلة، وليس صَغَارًا منه أو ضعةً، فهو أعلىٰ وأشرف مخلوق عند الله **«وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»** مسلم[1].

❊ ❊ ❊

(١) «مسلم مع شرح النووي» كتاب الأدب، باب: استحباب العفو والتواضع (٦٥٣٥).

الفصل الثاني
الدعوة إلي الله في البيوت

المبحث الأول
أسباب الاهتمام بدعوة الأهل

تمهيد:

أولًا: أهل الرجل وأهل الدار[1]، وأقصد بهم من يعايشهم الداعية في بيته وهم الولدان والإخوة من الذكور والإناث.

ثانيًا: الأسباب:

١- استجابة لأمر الله ﷻ الذي أمر رسوله، وحثه على الدعوة، ورغبه فيها.

فإن الله ﷻ أمر بالدعوة، وحثَّ عليها في آيات من كتابه نقتطف منها بعض الآيات التي وجهت لرسول الهدى ﷺ قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل:١٢٥].

٢- من أعظم الصلة والبر:

كل مسلم يسعى للبر بوالديه وصلة رحمه استجابة لأمر الله ﷻ، وطلبًا للثواب الحسن من الله، وهل هنالك من البر والصلة أعظم من أن تدعو أهلك إلى الله؟! أن تقربهم إلى الله تعالى وتباعدهم عن كل ما يوقعهم في سخط الله؟!

---

(١) «مختار الصحاح» للرازي مادة (أهل) (ص٣١).

وقوله تعالىٰ مرغبًا ومادحًا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت:٣٣].

٣- عظم أجر الداعين إلىٰ الله ﷻ :

وقد مر معنا في مبحث سابق(١).

٤- الحرص علىٰ إنقاذ الأهل من النار، وهدايتهم إلىٰ طريق الجنة.

وهذه من الأسباب التي تجعل الداعية إلىٰ الله يحرص علىٰ دعوة أهله، وذلك عندما يعلم أن ما يقع فيه أهله من تقصير يكون سببًا لمعاقبتهم في الدنيا والآخرة.

يقول الحق -تبَارَكَ وتعَالَىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

٥- براءة للذمة.

إن الداعية في بيته عليه من المسئولية ما ليس علىٰ غيره، فلكي تبرأ ذمة الداعية فلابد من أن يقوم بإيصال ما علمه وعرفه من أمور الدين، فلن يأتي داعية من خارج البيت لكي يدعو أهل هذا الداعية، فهو المسئول أمام الله ﷻ عنهم؛ فإذا قام الداعية بما يجب عليه من البلاغ والتوجيه، وبذل كل ما في وسعه، قال الله ﷻ : ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥].

وقال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

---

(١) عند مبحث: عظم أجر الداعية إلىٰ الله (ص١٦) من هذه الرسالة.

٦- إنه وسيلة لإصلاح المجتمع المسلم.

فالمجتمع يتكون من مجموعة من الناس، فإذا صلح منهم أحد كان ذلك طريقًا لصلاح المجتمع حتىٰ يعود الإسلام ليحكم أرجاء الدنيا، ويكون المسلمون هم الذين يقودون هذا العالم نحو الله ﷻ.

٧- أن يكون البيت مأوىٰ يستريح فيه الداعية من عناء المجتمع.

فلا شك أن الداعية إذا وفق لصلاح أهله، فإن هذا البيت سيصبح استراحة للداعية من عناء وتعب الدعوة خارج البيت في المجتمع، فإذا لم يكن البيت كذلك، فإن الداعية سيجد المشقة والتعب في الخارج وداخل البيت مما قد يؤثر عليه سلبيًّا في دعوته، والله المستعان.

❋ ❋ ❋

المبحث الثاني
أمور ينبغي مراعاتها وملاحظتها

ينبغي على الداعية إلى الله في بيته أن يراعي بعض الأمور التي لا يغفل عنها.

أولًا: معرفة قدر ومكانة الوالدين.

إن التزام الشاب الداعية إلى الله وحرصه على دعوة أهله وهدايتهم لا يسوِّغ له أن ينسى مكانة وقدر والديه، إن الإشارة لمثل هذا الأمر جاءت مما يحصل من بعض الشباب؛ إذ يظن أنه وبسبب معاصي والديه وتقصيرهما أنه يسوغ له أن يسيء الأدب معهما، ويقصِّر في حقهما، وهذا مما لا شك فيه سببُه الجهل والحماس الزائد.

لقد أمر الله ﷻ بالإحسان للوالدين، والرفق بهما، ورعايتهما حتى وإن كانا مشركين، فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان:١٤-١٥].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية[1]: «أي إن حرصا عليك كل

---

(١) «تفسير ابن كثير» إسماعيل بن كثير (ج٣/ ٣٨٠).

الحرص علىٰ أن تتابعهما علىٰ دينهما، فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفًا؛ أي: محسنًا إليهما». اهـ

إذن؛ فالإحسان إلىٰ الوالدين، ولو كانا مشركين، بل ويجاهدانه علىٰ أن يشرك بالله، وقد نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص ﵁ فيما أخرجه مسلم(١) من حديث مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حَلَفت أم سعد ألا تكلمه أبدًا حتىٰ يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب.

قالت: زعمت أن الله وصَّاك بوالديك وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثًا حتىٰ غُشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عُمارة فسقاها فجعلت تدعو علىٰ سعد فأنزل الله ﷻ في القرآن هذه الآية... الحديث.

وقد ورد في سُنة النبي ﷺ ما يدعو إلىٰ الإحسان إلىٰ الوالدين وهما مشركين فضلًا عن أن يكونا مسلمين مقصرين، وذلك في الحديث المتفق عليه من حديث أسماء بنت أبي بكر ﵄ قالت: «قَدِمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت عليَّ أمي وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال: **نعم صلي أمك**». متفق عليه(٢).

فنخلص من هذا كله؛ أن الداعية مأمور بالإحسان إلىٰ الوالدين وإن كانا علىٰ معصية وتقصير وانحراف عن جادَّة الصواب، فواجب المسلم البار أن يرفق بهما ويلين معهما حتىٰ يستطيع أن يبعدهما عن الباطل الذي يتمسكان به.

---

(١) «مسلم مع النووي» كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل سعد بن أبي وقاص.

(٢) «البخاري مع الفتح» كتاب الهبة (٥٢٦٢)، «مسلم مع النووي» كتاب الزكاة (٧/٢٣٢١).

ثانيًا: محاولة كسب أحد أفراد الأسرة ليكون عونًا للداعية.

فهذا الأمر يعطي دعمًا معنويًا وحسيًّا وتعزيزًا لموقف الداعية، فاربما أن الآخر أقدر على التأثير والعمل بما لا يستطيعه الداعية نفسه، وقد أخبر الله ﷻ عن نبيه موسى عليه السلام أنه دعا الله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه:٢٥-٣٥].

فقد طلب موسى من الله ﷻ أن يعينه من أهله هارون أخيه ليشدَّ أزره، ويقويه، ويعينه في دعوته، ويكون عونًا له في طاعة الله ﷻ.

ثالثًا: البعد عن المشاكل وإثارتها في البيت.

على الداعية أن يتحلى بالرفق وبالحلم وبالتأني قدر المستطاع، ويبتعد عن أن يكون سببًا في إثارة المشاكل مع الكبار والصغار في أمور يمكن أن تحل بشكل آخر، وإلا فإن الأهل سيضجرون من الداعية، وينفرون منه، وقد يصل الأمر إلى كراهيته.

رابعًا: معرفة قدر الكبير، والعطف على الصغير.

وهذا من خُلق الإسلام، فعلى الداعية مراعاة حق والديه وإخوته الكبار، فيحترمهم، ويقدرهم حتى ينال احترامهم وتقديرهم بالمقابل، وكذلك على الداعية أن يعطف على الصغار، فلا يكون نصيبهم منه دائمًا الضرب والإيذاء، بل يحرص عليهم، ويجعل لهم نصيبًا من التوجيه والحرص على كسبهم قدر المستطاع وإحضار ما يناسبهم من الأشرطة.

خامسًا: تفريغ وقت للأهل وعدم الانشغال عنهم.

إذا كان الداعية يرغب التأثير في أهله، فلابد وأن يفرغ لهم شيئًا من وقته يؤدي فيه الحقوق التي لهم، ولا يكون عذر الداعية في عدم تفريغ وقتٍ لأهله هو الانشغال بالدعوة والارتباط بالصالحين، فلابد أن يفرِّغ وقتًا يجلس فيه مع أهله، ويتحدث معهم، ويوجههم، ويقضي حوائجهم -كما سيأتي- وبالطبع ليس معنىٰ ذلك أن ينقطع الانقطاع الكلي عن أهل الخير والصلاح الذين يعينونه علىٰ الخير، ويوجهونه، ويحثونه علىٰ المبادرة في الأعمال الصالحة التي تمثل الزاد له في طريق الاستقامة؛ ذلك أن كثرة الخلطة بمن لم يتعود علىٰ الطاعة وعلىٰ ذكر الله، بل جل أوقاتهم إن لم يكن كلها تذهب فيما لا يعود علىٰ المرء بالنفع في الدنيا ولا في الآخرة، بل قد تكون مما يبعد عن الله ويقسي القلب.

أقول: إن الخلطة بهم قد تؤثِّر علىٰ الداعية سلبًا، لكن علىٰ الداعية أن يسدد ويقارب، فلا يطغىٰ جانب علىٰ جانب، والله الموفق إلىٰ سواء السبيل.

سادسًا: الاستشارة.

غير خافٍ ما للاستشارة من الأهمية، ومكانتها من الدين، وكيف كان رسول الله ﷺ يكثر من استشارة أصحابه وأهله، فلابد أن يستشير الداعية من يثق في دينه وعلمه وتقواه، يستشيره في حاله مع أهله وأسلوب دعوته لهم ويعرض عليه ما قد يظهر من مشكلات تواجهه، وأفضل السبل للإصلاح، ونحو ذلك مما لا يخفىٰ حتىٰ يسير في الطريق الصحيح، ويستفيد من خبرة الآخرين.

سابعًا: إعطاء الأهل تصورًا مجملاً عن نشاطه وذهابه مع الرفقة الصالحة.

فلا يترك الداعية حياته ألغازًا يتعامل بها مع أهله، بل يشعرهم بذهابه وإيابه، وأن ذلك في سبيل الخير، فلا يترك أهله لا يعرفون من حال ابنهم شيئًا، ولا ضرر

في أن يطلع أهله علىٰ ما يقوم به حتىٰ تطمئن قلوبهم، ويترفق معهم فيما لو منعه أهله من الذهاب مع الرفقة الصالحة أو لحضور مجالس الذكر، ويحاول بقدر ما يستطيع أن يكون ذلك برضاهم، وكذلك يحرص علىٰ استزارة إخوانه الصالحين حتىٰ يراهم الأهل، ويتعرفون عليهم.

ثامنًا: أن يُري الشاب أهله من نفسه خيرًا.

وذلك بأن يظهر أمامهم بصفات الرجولة الحقة، والجدية التامة، والقدرة علىٰ أداء ما يوكل إليه من الأعمال، والقدرة علىٰ تحمل المسئولية، فلا يستحقر الشاب نفسه، ويرىٰ نفسه دائمًا صغيرًا لا يحسن أن يعمل شيئًا، وليكن كما كان سلفنا الصالح، فهذا علي بن أبي طالب يدخل في الإسلام، ويترك ما عليه قومه، يفعل هذا الأمر الخطير، ويتحمل مسئوليته وعمره ثماني سنوات.

وكذلك أسامة بن زيد الشاب الذي أعطاه الرسول ﷺ قيادة الجيش ليلاقي الروم، وعمره تسع عشرة سنة، ولا أنسىٰ ابن عباس الذي كان في مجلس عمر بن الخطاب يستشيره مع كبار القوم، والنماذج في ذلك كثيرة، فعلىٰ الداعية أن يتسم بالجدية، وعلو الهمة، وعدم استحقار الذات، واستصغار النفس، وعليه بالتميز عن غيره من أقرانه، فلا يكون التزامه في مظهره فقط، بل يشمل جميع أموره.

تاسعًا: التركيز إلىٰ حدٍّ ما علىٰ البدء مع النساء في البيت.

ذلك أن طبيعة المرأة أسرع تأثرًا من الرجل، لرِقَّة عواطفهن وسهولة كسب قلوبهن.

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث
مفاهيم ينبغي أن تصحح

تمهيد:

يوجد بعض المفاهيم التي علقت في أذهان بعض الدعاة من الشباب والتي أصبحت عائقًا لهم عن الدعوة، وأصبحت مبررًا لقعوده عن دعوة أهله وحثهم علىٰ الخير، فهذه العوائق هي عوائق وهمية -إن صحت العبارة-، وإلا فإنه يمكن للشاب أن يتلافاها ويصحح طريق مساره، وقد يستطيع الشاب تفهم هذه الأمور ويعمل علىٰ إزالتها بنفسه وقد يتطلب الأمر أن يشاركه فيها غيره.

أول هذه المفاهيم: أن الخجل عائق من عوائق الدعوة.

فنرىٰ كثيرًا من الشباب لا يدعو أهله ولا يبذل أي مجهود في دعوتهم، وتراه سلبيًّا لا يقدم شيئًا، والسبب أنه يخجل من دعوة أهله.

نقول لهذا الشاب: إنه قد يُعْذَر الشاب في مسألة الخطاب المباشر والتحرج من ذلك والإنكار والتوجيه المباشر بسبب ما عنده من خجل -ولا نقول حياء-.

فهذا عائق نفسي يسيطر علىٰ بعض الناس وقد يجدون صعوبة في التخلص منه، ولكن هذا إذا كان الحديث والخطاب المباشر هو الوسيلة الوحيدة، أما وإنَّه توجد الكثير من الوسائل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث علىٰ الخير، فهناك من الوسائل الشيء الكثير، ومن أعظمها أن يكون الداعية قدوة

لأهله في أعماله وسلوكه وأخلاقه يمثل قدوة حسنة.

المفهوم الثاني: أن صغر السن سبب لترك الدعوة.

وهذا كسابقه، فنجد كثيرًا من الشباب يستصغر نفسه في أن يقدِّم أيَّ عمل يحث فيه أهله على الخير وينهاهم فيه عن الشر، وعلاج هذا الأمر كسابقه أيضًا، فعلى الشاب أن يكون ممن ذكرهم رسول الله ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم: «**شاب نشأ في عبادة الله** ﻷ»(١).

فيكون قدوة لأهله في عمله وفي حرصه على مرضاة الله، والبعد عما يسخط الله ﻷ، ويسعى بالوسائل الأخرى -التي نعرضها في مبحث قادم إن شاء الله- في دعوة أهله إلى الله.

المفهوم الثالث: أنه لابد من إنكار جميع المنكرات في زمن واحد.

وهذا مما لا يحصل، لذلك على الداعية البدء بالمنكر الأكبر، ويؤجل الأقل حتى يأتي الوقت المناسب لإنكاره؛ فإن تأخير إنكار المنكر للمصلحة أمر، وترك الإنكار بالكلية أمر آخر، ولذلك فإن تفاوت المنكرات يجعل الداعية يبدأ بالأهم ويسعى لإنكاره، ويؤجل ما هو أقل من ذلك، بل لو ترك الداعية الإنكار لفترة من الزمن بقصد تأليف قلوب أهله، ثم يكون الإنكار بعد ذلك لكان الأمر لا حرج عليه فيه، فإن الغرض الأساسي هو تغيير المنكر لا إنكاره فقط.

ومن الشواهد على هذه المسألة -كما مر معنا- حديث إرسال النبي ﷺ معاذ بن جبل ﭬ إلى اليمن: فكان أول ما أمره أن يدعوهم إليه هو التوحيد ونبذ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وأخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة.

الشرك، ثم قال له: «**فإن هم أطاعوا لك في ذلك**»(١). تكون المرحلة التالية الأمر بالصلاة، وهكذا الأمور التي بعدها، لم يأمره النبي ﷺ بأمرهم بكل هذه الأمور مجتمعة ابتداءً، بل تدرج في الأمور حسب أهميتها، كذلك لا أحد يقول إن إنكار المنكر إذا أفضىٰ إلىٰ منكر أعظم منه أنه يستحب إنكاره، فضلًا عن أن يقول أنه يجب ذلك -وكما ذكر سابقًا- إن تقرير هذه الأمور يعود إلىٰ الشرع مما يستدعي سؤال العلماء واستفتاءهم في مثل ذلك.

المفهوم الرابع: أن دور الداعية هو التبليغ وإقامة الحجة فقط وبأي أسلوب كان.

ومن هذا المفهوم نجد أن الشاب يستخدم مع أهله الأساليب المنفرة الغليظة الشديدة مع شدة البغض والكراهية والتعنيف والتشديد بحجة أن دوره هو التبليغ وإقامة الحجة وبراءة الذمة فقط، وهذا لاشك فيه أنه قصور في الفهم وعدم معرفة لسنة المصطفىٰ ﷺ، وكيف كان مدىٰ حرصه علىٰ هداية قومه ومنهم عشيرته، وكيف كان يستخدم كل أسلوب مشروع يرىٰ أن فيه استنقاذ هذا الإنسان من الكفر إلىٰ الإسلام، وكل وسيلة شرعية يستطيع بها أن يؤلف قلوب قومه لمحبة هذا الدين وقبوله، بل ويتغاضىٰ عن أخطائهم علىٰ شخصه الكريم، وكل ذلك طمعًا في هدايتهم.

وأعرض هنا جانبًا من جوانب دعوة الرسول ﷺ وحرصه علىٰ هدايتهم.

أولًا: الآيات التي تبين مدىٰ حرص النبي ﷺ علىٰ هداية قومه حتىٰ عاتبه ربه.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٧).

١- قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

٢- قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣]. وباخع: أي مهلك(١).

ثانيًا: تألفهﷺ لقلوب بعض المشركين بالمال مما كان سببًا في إسلامهم.

ويشهد لذلك ما رواه الإمام مسلم(٢) من حديث حميد بن موسىٰ بن أنس عن أبيه قال: «ما سئل رسول اللهﷺ شيئًا قط إلا أعطاه، فأتاه رجل فسأله فأمر له بغنم بين جبلين، فأتىٰ قومه فقال: أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة».

ثالثًا: عفوه عمن أراد قتله مع تمني هدايته(٣).

وانظر إلىٰ موقفه -عليه الصلاة والسلام- مع الشاب الذي أراد الزنا، وموقفه مع الأعرابي الذي جذبه ببردته يريد عطاء، وموقفه مع الأعرابي الذي بال في المسجد، وموقفه مع الغلام اليهودي(٤).

والأدلة علىٰ ذلك كثيرة، ولكن أختم ذلك بقوله تعالىٰ لموسىٰ وأخيه هارون عليهما السلام عندما أمرهما بالذهاب إلىٰ فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤].

---

(١) «المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن» إعداد وترتيب الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان (٦١).

(٢) «مسلم مع النووي» كتاب الفضائل (ج١٥/ ٧١).

(٣) «والله يعصمك من الناس» أحمد الجدع.

(٤) «السيرة النبوية» لابن هشام، المجلد الثاني الجزء (٤/ ٥٩).

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره(١): «هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسىٰ صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين .....

والحاصل من أقوالهم أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين سهل يكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥].

وقوله: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾؛ أي: لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة أو تحصل له الطاعة». اهـ .

فهذه ثلاث جوانب تبين لنا أن النبي ﷺ كان حريصًا علىٰ هداية قومه، ولذلك استخدم كل طريق مشروع يوصل إلىٰ قلوب قومه مع عدم المداهنة، بل تخير أفضل الأساليب وأظهر مدىٰ حرصه عليهم وأنه لا يريد مِن وراء ذلك أجرًا، قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ [الفرقان:٥٧].

المفهوم الخامس: الهجر علىٰ كل حال.

لا يشك مسلم في مشروعية الهجر لحق الله تعالىٰ فوق ثلاثة أيام، كما هو معلوم من سنة النبي ﷺ في هجر الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وفي هجره لبعض نسائه، وفي هجر الصحابة كذلك لأصحاب المعاصي.

لكن نجد أن بعض الشباب يستخدم أسلوب الهجر كأسلوب تهرب من القيام بواجب الدعوة، بحجة الهجر لصاحب المعصية دون فقه لهذا الهجر! ومتىٰ يكون؟! ومع من يكون؟! وما هو المشروع منه وما هو الممنوع؟! ومتىٰ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٣٤).

يكون للهجر جدوىٰ؟ ومتىٰ لا يكون ذلك؟!

فالهجر الإيجابي الزاجر[1] هو المطلوب، وهذا -في الغالب- يكون ممن له سلطة مادية -كالزوج والأب والحاكم-، أو سلطة معنوية كالعالم علىٰ المهجور.

يقول الإمام ابن القيم في «الزاد»[2]: «وفي القصة دليل علىٰ هجران الإمام، والعالم، والمطاع، لمن فعل ما يستوجب العتب، ويكون هجرانه دواءً له بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به، ولا يزيد في الكمية والكيفية عليه فيهلكه، إذ المراد تأديبه لا إتلافه». اهـ

فمن هذا نعلم أن الهجر ليس مقصودًا لذاته دون أثره ونتيجته، فإن كان له أثر في المهجور بترك المعصية أو فعل الواجب فقد حقق الهدف منه، وإلا لم يكن له فائدة، بل قد يزيد العاصي معصية بسبب انقطاع الخير عنه.

* * *

(١) «الهجر في الكتاب والسنة» (١٥٦).

(٢) «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٣/ ٥٧٨).

المبحث الرابع
الوسائل والأساليب للدعوة في البيت

تمهيد:

أولًا: تعريف الوسيلة والأسلوب والفرق بينهما.

١ - **في اللغة**[١]: الوسيلة: ما يتقرب به إلىٰ الغير. الأسلوب: الفن.

٢ - **في الاصطلاح**[٢]: الوسيلة: هي التي يتوصل بها إلىٰ تحصيل المقصود.

الأسلوب: هو القالب الذي تظهر فيه الوسيلة أو طريقة عرض الوسيلة أو فن عرض الوسيلة.

ثانيًا: الوسائل التي يمكن للداعية أن يدعو بها أهله:

أ- الوسائل المباشرة:

١ - الحديث المباشر مع الأهل ومناقشتهم في أمور الدين.

وهذا يحدث عادة من غير إعداد، فإذا كان الداعية يستطيع التحدث مع أهله في أمور الدين وتوجيههم وحثهم علىٰ الخير مع وجود العلم، فيفعل ذلك، ويحرص علىٰ الحديث عن الأمور المهمة التي يرىٰ أهله يفرطون فيها أو يبين

---

(١) «مختار الصحاح» الرازي، مادة (و س ل) (٧٢١).

(٢) «تفسير القرآن الكريم» ابن كثير (ج٢/ ٤٨).

لهم خطر فعل بعض المعاصي التي يقعون فيها، فيقوم بالترغيب والترهيب، ويحاول الداعية بهذه الطريقة ولا يمل، ولكن عليه مع ذلك أن يكون متحليًا بالحكمة مع تجنب الشدة والغلظة.

٢- وضع درس داخل البيت.

فإذا كان الداعية يرىٰ في أهله تقبلًا لهذه الوسيلة ويرىٰ إقبالهم عليها، فيقوم بوضع هذا الدرس في موعد محدد يقرأ فيه عليهم من كتاب، ويوضح لهم ما يقرأ، أو يتحدث في موضوع سمعه من أحد العلماء أو طلبة العلم: كموضوع صفة صلاة النبي ﷺ أو عن فضائل الأعمال، أو عن الأذكار، أو في الأخلاق، وموضوعات العقيدة التي هي أهم من غيرها، ولكن يراعي عدم التطويل مع حسن الإلقاء، وتحضير الموضوع مسبقًا.

٣- اصطحاب الأهل للمحاضرات والندوات وحلقات تحفيظ القرآن.

فإذا كان الداعية لديه القدرة علىٰ إقناع أهله، ودعوتهم لحضور المحاضرات والندوات التي تقام في المساجد، وحثهم علىٰ الدخول في مدارس تحفيظ القرآن، فلا يتباطأ في ذلك، ذلك أن الحضور للمسجد في حلقة القرآن يكون به التأثر أكبر عندما يرون أهل الخير، ويستمعون للعالم وطالب العلم مباشرة، ويرون من سبقهم في حفظ كتاب الله، ويسألون عما يريدون السؤال عنه.

ب- الوسائل غير المباشرة:

١ - الدعاء.

فهو من الوسائل العظيمة المنفعة، والتي يفرط بها الكثير من الشباب إما جهلًا بأثر هذه الوسيلة أو قلة اليقين بأثرها، ولبيان أهمية هذه الوسيلة نقف معها

قليلًا في كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ.

١- يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦].

يقول الإمام ابن كثير عند تفسير هذه الآية(١): «المراد من هذا أنه تعالىٰ لا يخيب دعاء داع ولا يشغله عنه شيء، بل هو سميع الدعاء، ففيه ترغيب في الدعاء، وأنه لا يضيع لديه تعالىٰ...».

٢- ويقول الله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠].

يقول الإمام ابن كثير عند تفسير هذه الآية(٢): «هذا من فضله -تبارك وتعالىٰ-: وكرمه أنه ندب عباده إلىٰ دعائه، وتكفل لهم بالإجابة، كما كان سفيان الثوري يقول: يا من أحب عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس أحد كذلك غيرك يا رب: رواه ابن أبي حاتم...». اهـ

عن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل**». رواه مسلم(٣).

يقول الإمام النووي: «وفي هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب... وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة لأنها تستجاب ويحصل له مثلها». اهـ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (ج١/ ١٩٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (ج٤/ ٧٧).

(٣) «مسلم مع النووي» كتاب الذكر والدعاء (ج١٧/ ٥٢).

الحرص علىٰ كثرة الدعاء، والتبتل إلىٰ الله والإلحاح عليه مع تحري أوقات الإجابة، والتأدب بآداب الدعاء، والبعد عن موانع إجابته، فلعل الله أن يشرح صدور الأهل بسبب دعاء هذا الابن، فيحبب لهم الإيمان، ويزينه في قلوبهم، ويكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، ويصرف قلوبهم في طاعته.

٢- الشريط الإسلامي.

فقد أثبت الشريط الإسلامي فاعليته وجدواه في العملية الدعوية، وحقق النتائج العظيمة، وكان من الأسباب الرئيسة بعد الله في هداية الكثير من الناس إلىٰ الحق، والالتزام بطريق الاستقامة، والقصص في ذلك كثيرة.

وسبب فاعلية الشريط أنه يكون بصوت أحد العلماء، أو طلبة العلم، أو الدعاة الذين عرفوا بالقدرة علىٰ التأثير في نفوس مستمعيهم، يضاف إلىٰ ذلك سهولة سماع الشريط في كل مكان، فيستطيع سماعه في السيارة وفي المنزل وفي غيرها من الأماكن.

لذلك لابد علىٰ الداعية أن يستغل هذه الوسيلة في نشر الخير وبث الهداية بين أهله، فيحرص علىٰ إدخال الشريط الإسلامي الموجه إلىٰ بيته، ويسمعه لأهله، ويكون في البيت (مكتبة صوتية) يستطيع الأهل الرجوع إليها متىٰ ما أرادوا، ويحرص علىٰ التنويع في الموضوعات وتنويع الملقين، وأؤكد علىٰ حق الأطفال، فيجعل الداعية لهم نصيبًا من الأشرطة لاسيما الأشرطة التي تعينهم علىٰ حفظ قصار السور والأذكار والآداب ونحوها.

٣- الكتاب والكتيب الإسلامي.

فكما قلنا في الشريط فكذلك الكتاب أو الكتيب الموجه سهل المحمل، ومادته موجزة ذات موضوعات هادفة، لاسيما إذا كان في الأهل من هو محب

للقراءة، فيستبدل القراءات غير المفيدة بهذه الكتب والكتيبات، وكذلك عليه الاختيار المناسب فلكل فئة ما يناسبها، فالنساء لهنَّ كتب تناسبهن، وكذلك الأطفال، وكذلك الكبار، وعلىٰ الداعية أن يوفِّر المكتبة الإسلامية في داخل البيت حتىٰ يتسنىٰ للجميع الرجوع إليها.

٤- المجلات الإسلامية.

فلا يخفىٰ علىٰ الداعية خطر المجلات الفاسدة، والتي تروج الفساد داخل البيوت، وذلك لما في هذه المجلات من وسائل الإثارة والجذب، وعرض لما حرَّم اللهُ بالصورة، والعبارة الداعية إلىٰ الرذيلة، فعلىٰ الداعية أن يقف في وجه هذه المجلات ودخولها إلىٰ البيت، لما ذكرنا من أثرها في الإفساد وعرض ما يسخط الله.

وعليه كذلك أن يوجد البديل الإسلامي الهادف من المجلات التي تجمع بين الالتزام والتجديد والإبداع، ومنافسة تلك المجلات الفاسدة، مع ما تقوم به من دور عظيم في التوجيه والإرشاد، وإشغال الوقت فيما يفيد، والتسلية الهادفة، والمسابقة المفيدة.

٥- زيارة أهل الخير والصلاح.

فيحرص الداعية علىٰ طلب زيارة أهل الخير والفضل والصلاح، والجلوس مع الأب، والإخوة، فلا شك أن لمثل هذه المجالس من الأثر العظيم، لاسيما إذا وفق إلىٰ من يستطيع التأثير والنصح والإرشاد بالطريق المناسبة.

٦- الدعوة بالقدوة.

ألا وهي الدعوة الصامتة؛ فإن الداعية إذا أقام الإسلام في نفسه، والتزم به التزامًا كاملًا لا مجاملة ولا خجل ولا مداهنة فيه حتىٰ ولو لم يتكلم بلسانه، فإن

لسان الحال أبلغ من لسان المقال، أما إذا كان الداعية يغلب عليه التقصير أو المجاملة علىٰ حساب الدين، فلن يكون له تأثير، أو يكون تأثيره ضعيفًا.

فيحرص الداعية علىٰ المبادرة والسبق في أعمال الخير والطاعات، وعلىٰ ترك ما نهىٰ الله ﷻ عنه، ويحرص علىٰ أن يوافق قوله فعله، ولا يخالفه، وإلا كان ذلك سببًا في عدم اقتداء الأهل بهذا الداعية.

إن استقامة الداعية هي سر نجاح دعوته، وهي المؤهل الأهم لإمامته، وهي العامل الأقوىٰ في هدايته، وصدق الله تعالىٰ حيث يقول: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ [الشورىٰ:١٥].

٧- الطريق إلىٰ القلوب.

والمراد بها بعض الأساليب التي تكون طريقًا لقلوب الأهل، والتي هي من الوسائل الشرعية التي جاء بها الإسلام.

أولًا: طلاقة الوجه والتبسم.

فهو طريق إلىٰ القلب، وقدوتنا في ذلك حبيبنا المصطفىٰ ﷺ كما أخرج الترمذي في الشمائل[(١)] عن عبد الله بن الحارث بن جزء ؓ أنه قال: «ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ».

وحديث جرير بن عبد الله ؓ قال: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا ضحك». وفي رواية: «إلا تبسم»[(٢)].

---

(١) «مختصر الشمائل المحمدية» للترمذي، اختصره محمد ناصر الدين الألباني، رقم (١٩٤ / ص١٢١).

(٢) المرجع السابق رقم (١٩٦/ ص١٢٢)، ورجح الألباني الرواية الأخرىٰ.

ثانيًا: المزاح بالحق:

فإنه يحبب العشرة؛ فإن الداعية عندما يخالط أهله، ويمازحهم، ويحسن المزاح معهم يتلطف في المداعبة، وهو في مزاحه لا يغلو ولا يشتط ولا يؤذي، فهو في ذلك كما كان شأن الرسول ﷺ، ومن ذلك ما أخرجه الترمذي في الشمائل عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ قال له: «**يا ذا الأذنين**». قال أبو أسامة: يعني يمازحه(١).

وما أخرجه كذلك عن أبي هريرة ﵁ قال: «قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا. قال: **نعم، غير أني لا أقول إلا حقًّا**»(٢).

وكذلك قصته ﷺ مع ذلك الرجل من أهل البادية زهر أن النبي ﷺ جاءه يومًا: «فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال من هذا؟! أرسلني، فالتفت فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، فجعل النبي ﷺ يقول: **من يشتري هذا العبد؟**

فقال: يا رسول الله، إذن والله تجدني كاسدًا!

قال النبي ﷺ: **لكن عند الله لست بكاسد** -أو قال: **أنت عند الله غالٍ**-»(٣).

ثالثًا: إفشاء السلام.

وفي هذا يقول المصطفىٰ الحبيب -عليه الصلاة والسلام-: «**لا تدخلون الجنة حتىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا، أوَلا أدلكم علىٰ شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**» مسلم(٤).

---

(١) صححه الألباني في «مختصر الشمائل المحمدية» للترمذي (٢٠٠/ ١٢٤).

(٢) صححه الألباني في «مختصر الشمائل» (٢٠٢/ ١٢٦).

(٣) صححه الألباني في «مختصر الشمائل» (٢٠٤/ ١٢٧).

(٤) «مسلم مع النووي» كتاب الإيمان (١٩٢).

فيحرص الداعية علىٰ إفشاء السلام، ويتأدب بآداب الإسلام في ذلك.

رابعًا: الهدية والتهنئة في المناسبات السارة.

فإن الهدية مما تعارف الناس عليه، وهي سبب في تأليف القلوب، فهي مما يورث المحبة والألفة في القلوب وكما ورد: «**تهادوا تحابوا**»(١).

فاستغلال المناسبات السارة مما ينبغي علىٰ الداعية الحرص عليه؛ كسبًا لقلوب أهله بالتهنئة والهدية.

خامسًا: الإحسان والخدمة والسعي في حاجاتهم.

فإن الإحسان للإنسان مهما كان ذلك، والقيام علىٰ خدمته وإكرامه والسعي في حاجته لهو من أقصر الطرق إلىٰ قلبه، فالمطلوب من الداعية ابتداء القيام ببذل ما يستطيع من جهد، فإن قصَّر به جهده عوضه وأكمله بحسن الخلق، فيسعىٰ الداعية بما يستطيع إلىٰ مساعدة ومساندة أهله، والاهتمام بهم والسعي لقضاء حاجاتهم، وتفريج كروبهم وإزالة همومهم بما يستطيع.

فالداعية بحق هو الذي يعيش لغيره لا لنفسه، ويكون ديدنه الدوران حول مجتمعه، وحول أهله وليس حول ذاته، فهو الذي يعمل علىٰ توفير الراحة للآخرين، ولو علىٰ حساب راحته، تسعده سعادة الآخرين، وتشغله همومهم، يرتاح إذا ارتاحوا، ويطمئن إذا اطمأنوا، ويسعد إذا سعدوا.

فإذا قامت هذه الوشائج بين الداعية وبين أهله تحقق الوصال، وتحقق التأثر، ونجحت المهمة، وآتت الدعوة أُكُلها، ولكي يتمكن الداعية من خدمة أهله

---

(١) **قال عنه الألباني في «إرواء الغليل»**: حسن.

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، والدولابي في «الكنىٰ»، وتمام في «الفوائد»، وابن عدي، وابن عساكر، وكذا البيهقي من طرق عن ضمام بن إسماعيل.

وقضاء حوائجهم فإن عليه أن يكون قريبًا منهم، موصولًا بهم غير مقطوع عنهم.

قال رسول الله ﷺ: «**أحبُّ الناس إلىٰ الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلىٰ الله** ﷻ **سرور تدخله علىٰ مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من اعتكاف في المسجد شهرًا**» ابن أبي الدنيا[1].



(١) **قال الألباني في «الصحيحة»:** قلت: وهذا إسناد حسن، فثبت الحديث والحمد لله تعالىٰ. اهـ «السلسلة الصحيحة» (٩٠٦) (ص٦٠٨).

المبحث الخامس
من المشاكل التي تواجه الداعية في بيته

تمهيد:

الداعية في بيته لا يجد الطريق ممهدًا ومزينًا بالورود، بل لابد أن تكون هناك بعض العقبات والعوائق التي يواجهها، ولابد عليه أن يعرف كيف يتعامل في ضوء أحكام الإسلام.

أولًا: أول هذه المشاكل: قضية التزام الشاب بسنة المصطفىٰ وموقف الأهل من ذلك.

فهذه المشكلة كثيرًا ما تقع إذا التزم الشاب بالسنة في جميع أحواله في مظهره وتعامله وسلوكه، وفي الغالب ما يقابل الداعية باستغراب الأهل مع النقد، وقد يصل إلىٰ الاستهزاء -والعياذ بالله- فعلىٰ الداعية أن يوازن بين المصالح والمفاسد، ويحرص كل الحرص علىٰ الالتزام بسنة المصطفىٰ ﷺ في أحواله جميعًا، ولا يأبه لاستهزاء المستهزئ، بل يحاول توضيح الأمر وتبيانه.

وكذلك بيان خطر الاستهزاء بشيء مما جاء به النبي ﷺ، ولكن -وكما تكرر كثيرًا- علىٰ الداعية أن يكون حليمًا متوددًا إلىٰ أهله، فيقابلهم بالتلطف، وإظهار المحبة لهم، وما كان يحتاج إلىٰ شيء من الحزم فليفعل، وكذلك لابد علىٰ الداعية أن يستفتي العلماء أو طلبة العلم فيما يحتاجه من هذه المسألة.

ثانيًا: وسائل اللهو والإفساد.

علىٰ الداعية أن يتحلىٰ بالحكمة والحلم ومراعاة المصالح والمفاسد ومعرفة النتائج والعواقب، فكما مر معنا[١]؛ فإن درء المفسدة مقدم علىٰ جلب المصلحة، فإذا تعارضت المصالح والمفاسد، والحسنات والسيئات أو تزاحمت؛ فإنه يجب ترجيح الراجح منها.

فبالنسبة لوسائل اللهو والإفساد، فيحذر الداعية أهله منها، ويبين خطرها ويكون أول من يتجنبها، ويحرص علىٰ إحضار فتاوىٰ العلماء فيها، وما يحذر من شرها، ويكشف عوارها، وبالمقابل فعلىٰ الداعية أن يدخل الشريط الإسلامي، والكتاب الإسلامي، والمجلة الإسلامية لتحد من شرور هذه الوسائل، وإن استطاع الداعية التخلص من الوسائل السيئة بما لا يترتب عليه مفسدة أعظم منه، فيحرص علىٰ ذلك، ولا يتردد، ويعمل علىٰ إشغال أوقات أهله بما يبعدهم عن تلك الوسائل، ولكن لابد أن تكون الوسيلة البديلة وسيلة مشروعة.

ثالثًا: وجود امرأة من غير محارمه في البيت[٢].

إن من المشاكل التي يعاني منها بعض الدعاة في بيوتهم وجود امرأة من غير محارمه أجنبية، وهذا يعيق تحرك الداعية في بيته، لأن عليه أن يطبق أحكام الإسلام في التعامل مع غير المحارم من حيث إنه يجب عليه غض بصره عنها، كما قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠].

---

(١) عند القاعدة الرابعة (ص٢٤-٢٥) من هذه الرسالة.

(٢) لمعرفة المحارم، ارجع إلىٰ تفسير سورة النساء في المحارم آية (٢٣).

ومن الأحكام كذلك أنه لا يجوز له مصافحتها، وكذلك لا يجوز له الخلوة بها لقوله ﷺ: «لا يخلونَّ رجل بامرأة؛ فإن الشيطان ثالثهما» رواه أحمد وغيره [(١)].

وكذلك حرمة الخضوع بالقول من جهة المرأة، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب:٣٢].

وكذلك أن تحتجب المرأة، فقد قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

ولعموم الأدلة في وجوب الحجاب، إلىٰ غير ذلك من أحكام غير المحارم من عدم السفر بها وحدها.

وأخص كذلك الحديث عن الخادمة التي بليت بها بيوت المسلمين مع تساهل المسلمين في هذا الجانب، فيتعاملون معها وكأنها من المحارم أو مملوكة من المماليك!!

فعلىٰ الداعية أن يحرص علىٰ عدم دخولها إلىٰ البيت الذي يعيش فيه لاسيما إذا كانت ليست مسلمة، أو أن الحاجة لا تستدعي وجودها في البيت، مع خطرها العظيم علىٰ الأخلاق والسلوك وتربية الصغار، وعلىٰ الداعية أن يراقب سلوك هذه الخادمة وأثرها في المنزل، من ناحية العقيدة والسلوك والأخلاق ونحوها، إذا وجدت.

وكذلك أن يقوم بدعوتها للإسلام إن كانت كافرة، أو لتصحيح أوضاعها إن كانت مسلمة عن طريق الأشرطة والكتيبات والنشرات وغيرها.

---

(١) «صحيح سنن الترمذي» للألباني.

رابعًا: وقوف الأب أو الأم في وجه الداعية.

بعض الأهل من الأقارب يهاجمون الداعية[١] وينتقدونه، وقد يصل الأمر إلىٰ الضرب، والمحاربة، والمقاطعة، والحبس، وقطع المصروف، والحرمان من العطية والهبات، أو الطرد من البيت، وقد يصل الأمر إلىٰ وضع المغريات والفتن أمام الابن الداعية.

وقد يسخرون منه أمام الآخرين في المجالس، وقد يصل الأمر بهم إلىٰ منعه من زيارة إخوانه في الله، ومنعه من حضور حلقات العلم، وقد يُرمىٰ بالوسوسة، مع هذا كله علىٰ الداعية أن يصبر، ويحتسب الأجر فيما يصيبه، ويطلب العون من الله علىٰ ذلك، وأن يحسن إلىٰ والديه ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا.

وعلىٰ الداعية ألا ينسىٰ قول الحق -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ [لقمان:١٥].

فمن هذه الآية يتبين للداعية أنه ينبغي ألا يقابل والديه بالعنف، والشدة، والغلظة، وسوء الخلق، أو البغض الشديد لهما، والحديث عنهما مع كل إنسان كما يحدث من بعض الدعاة.

فيؤمر الداعية -كما قلنا- بالصبر، والتصبر، والحلم، وكظم الغيظ، والمعاملة الحسنة، والتعامل بالمعروف، والتقدير، والاحترام، ولننظر إلىٰ حوار إبراهيم عليه السلام مع والده في سورة مريم[٢] لنرىٰ كيف كان خطاب هذا الابن البار بأبيه المتعجرف المتغطرس.

---

(١) لا ترتدوا علىٰ أدباركم، محمد المنجد (شريط).

(٢) الآيات من سورة مريم من قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [مريم:٤١] إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴾ [مريم:٤٨].

خامسًا: أمر الداعية بعمل محرم، أو أمر يجر ويوصل إلىٰ المحرم.

طاعة الله ﷻ مقدمة علىٰ طاعة الوالدين، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق -جل وعلا-، فإذا علم الداعية أن ما يؤمر به محرم، أو يوصل إلىٰ المحرم، فلا طاعة للوالدين في ذلك، لكن يكون الرد بالحسنىٰ.

ويقول العلامة فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين في رد علىٰ سؤال عن هذه المسألة(١)**، وهو يوجه كلامه للشباب المستقيم:** «ويبتعد عن جلساء السوء إذا كانوا لا يتأثرون به، ويعيبهم بما يتعاطونه من الدخان والمسكرات، والنظر إلىٰ الصور الخليعة، واقتناء المجلات الداعرة، ولا يطيع منهم أحدًا ولو كان من أقاربه، ويعمل مع أبويه الرفق ولين الجانب، لكن يقنعهما بأن الدخان حرام.

وكذا سماع الأغاني، وكذا النظر في الصحف الماجنة، والمجلات ذوات الصور الهابطة، وأنه لا يجوز له شراؤها لأن ذلك من التعاون علىٰ الإثم والعدوان، ويخبر أبويه أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا يسافر إلىٰ البلاد التي لا يأمن فيها علىٰ عفافه ونفسه.

ولا يكون ذلك معصية لأبويه لأنه مطيع لربه، ومن أطاع الله أطاع له كل شيء. والله الموفق.

وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم»

كتبه عبد الله عبد الرحمن الجبرين

---

(١) قد وجهت سؤالًا مكتوبًا للشيخ عن مسألة الأمر بمحرم أو يوصل إلىٰ المحرم مثل طلب شراء الدخان، أو الخمر في البلاد التي تسمح بذلك، أو طلب شراء أجهزة اللهو مثل (الدش)، أو شراء المجلات الخليعة، أو السفر للنزهة للبلاد الكافرة والإباحية أو السفر بالخادمة لوحدها وغيرها من الأمثلة.

سادسًا: أن يكون مصدر كسب والد الداعية من طريق محرم[(١)].

لا شك أن المسلم مطالب بإطابة مطعمه، والحذر من الأموال المحرَّمة، والتي يقول النبي ﷺ مبينًا خطورتها: «**كل جسد نبت من سحت فالنار أولىٰ به**»[(٢)]. كما أنه من أسباب رد الدعاء وعدم قبوله.

إن الداعية في أخذه لمالٍ من هذا الأب قد جاءه من طريق مشروع وهو نفقة الوالد علىٰ ولده، والحديث السابق المقصود به من كَسَبَه وليس المُنفَق عليه[(٣)].

فما دام الداعية لا يزال محتاجًا لنفقة والده فليس عليه أدنىٰ حرج في الأخذ من مال هذا الوالد، لأنه قد وصل إليه من طريق مباح شرعًا، وإن كان الداعية في غنىٰ عن مال هذا الوالد كأن يكون لديه وظيفة أو تجارة وغيرها فالورع في هذا الحال مطلوب.



(١) كالعمل في بنك ربوي أو تجارة محرمة أو ممن يأخذ الرشوة، أو غيرها من المكاسب المحرمة.

(٢) رواه أحمد والدارمي، والبيهقي في «شعب الإيمان»، «المشكاة»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥١٩).

(٣) وقد استفتيت عددًا من كبار العلماء في هذه البلاد، وما سبق خلاصة إجاباتهم -حفظهم الله-، كالشيخ ابن عثيمين، والشيخ ابن جبرين، والله أعلم.

الختام

في الختام أرجو أن أكون وفقت في هذا العمل، وأوجه الدعوة لعلمائنا ودعاتنا إلىٰ الاهتمام بأمور الشباب وما يعانونه، وحل مشاكلهم، وأن يتعود الشباب اللقاء بعلمائهم ودعاتهم، وأن يستنيروا بنور الكتاب والسنة.

فالشباب عماد الأمة، وهم الذين تقوم بهم وتنهض بجهدهم، وإذا لم يجد الشباب من يوجههم، ويأخذ بأيديهم قد تجني عليهم اجتهاداتهم، لاسيما إذا خلت الساحة من أهلها، وقام الشباب مع قلة العلم والحكمة.

كما لا أنسىٰ أخواتي المسلمات داخل البيوت فلهن علىٰ العلماء وطلبة العلم والدعاة حق عظيم ينبغي عليهم أن يهتموا به.

أسأل اللهَ التوفيق للجميع، وأسأله سبحانه أن يغفر لنا، ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، وأن يمن علينا بالهداية، وعلىٰ والدينا وإخواننا إنه علىٰ كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

***

فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊